هلاوس جمجمة

(الصامت)

العدد

٢

الكاتب

يوسف سيد

(عندما تخرج وحشًا قبع بقبر قلبك سنوات،
هل ستكون النتيجة مرضية للعالم؟!)

" الظلام بداخلنا دومًا ونحن عصاة في تتبعه "

المقدمة

ذلك العالم الذي نحياه يملئه الظلام وذلك الظلام يتوغل بذواتنا وعقولنا كل دقيقة من جميع الأنحاء، وسائل تواصل، هاتف، شوارع، كتب، كلها محقونة بالظلام والمشكلة أن الجرعة لا تظهر جليًا في وقتها ولكنها تراكمات تؤدي للتغيير البطئ على مر الأيام لتشهد قنابل ظلامية تسير أمام عينك ولا ينقصها للإنفجار سوى ضغطة زر...

نحاول في تلك السلسلة توضيح تلك القنابل الظلامية وتوعية من أخطار عديدة قد تكون وقعت أو واقع أو ستقع بها، لذلك أحترس.

فالظلام موجود دومًا ولا ينقصه غير ضغطة زر.

يوسف سيد.

الساعة العاشرة مساءًا...
التقطت كاميرات المراقبة شخصًا يدخل مكتب عزيز رجب صاحب دار الأيتام، دخل الرجل ووقف أمام عزيز، والذي بدوره صرخ عندما رآه ثم قال:
عزيز: الصامت....أعتذر على الصراخ، الجميع يعلم أن وجودك بمكان يعني موت محقق، قابض للأرواح، لا تنتظر، دائمًا متسرع.
ينظر له الصامت ولا يتفوه بكلمة واحدة.
عزيز: قل شيء واحد، أظن من حقي سماع حتى كلمة إعدامي الأخيرة!!
لا يجيب ينظر له بنظرة سامة تحمل كل فنون الموت ولكنه لا يذيقه.
عزيز: صمتك يقتلني قبل سكينك!!
يتحرك الصامت حول المكتب والآن هو أمام عزيز مباشرة والذي بدوره وقف أمامه أيضا والدموع تسيل من عينيه.
عزيز: أرجوك لدي ولد أريد إكمال مسيرته، أي شيء تريده يعوضك هو لك، أطلب ما شئت، تمنى أعتبرني مصباحك، ولكن....أرحمني.
هو صامت ينظر له بعيون صخرية.
يمسك عزيز في ملابسه ويصرخ في وجهه ويقول: (أجب)
يخرج الصامت السكين ويغرسه في بطن عزيز عدة مرات فيسقط عزيز على مقعده، ينظر الصامت إلى كاميرا ويغادر...

الموت لصاحب السر

عبارة زينت سقف مكتبي العتيق لتحمل بين حروفها أسرار وغموض لتقحمك بالإجبار في دخول بين أبراج الظلام محاولًا الخروج منه ولكن كلما أعتقدت أنك بالخارج تجد نفسك في بداية النفق كما كنت، جُرذ يسعى لقطعة جبن ولكنه في أبدية النفق...

تحركت لأجلب دلو به مياه لأزيل تلك العبارة من سقف ولكن عندما عدت أختفت، هل يملئني الرعب لإختفائها وتلاعب الشياطين بي أم أفرح لأزالتها بدون مجهود؟!

لا أخافهم لأنهم يتغذون على الخوف وإذا حدث سنكون في قفص من صنعهم يلهون بي كما يحلو لهم، وهذا لن يحدث.

(الهاتف يرن)

نظرت له ثم تحركت لأعرف من المتصل ولكنه رقم غير مسجل وهنا يصيبني الأرتياب بإتصال رقم غير مسجل، لا يوجد علاقة سابقة وهذا يأخذنا لأحتمالات عدة وتميل جميعها بنذر الكارثة.

- الو.
- أستاذ حامد؟!
- نعم، من معي؟!
- الرائد مروان العربي من مديرية أمن القاهرة.
- أهلا بسيادتك، تفضل كيف أساعدك؟!

- في حقيقة أعتذر عن الإتصال في وقت غير مناسب ولكن كنت أريدك سؤالك عن صديق لك كان بجامعتك يدعى عمار هل تتذكره كان بفصلك؟!
- عمار....عمار في حقيقة كنت أعرف بالفعل العديد بذلك الأسم ولكن من تقصد؟!
- عمار كامل علي.
- أتذكره.
- جيد هل تستطيع القدوم لمديرية غدًا أريد مساعدتك بشيء ما إذا كنت لا تمانع؟!
- لا مشكلة في أي ساعة؟!.
- أي وقت حتى السادسة مساء، عندما تأتي أسأل علي وسيساعدوك، منتظرك وداعًا.
- وداعًا.

تركت الهاتف وهنا زادت حيرتي لأضعاف عمار كامل؟! ما به وماذا فعل وما علاقتي؟! كلها أسئلة تحيط بي كالأقمار في فلك عقلي وسيف الحقيقة سيبهرنا غدًا بكل شيء.

ترأه هناك ذات الظل ينظر لي في نهاية ممر الشقة وإذا ظهر يدل على ظلامية الحدث كما حدث بالمدينة.

•••

في صباح اليوم التالي....

ارتديت ملابسي قميص وبنطال وهذا زي مناسب في فصل الصيف والذي سيكون قاهر لكل ذرة برودة تقابلك!! سيغزو كل شيء في فترة النهار بلا رحمة حتى تظن أنها نهاية الحياة

وبداية لحظات الهلاك ونظل هكذا حتى بزوغ القمر لتبدأ على الأقل نسمات الهواء الباردة التي تخبرك بأنه مازال الأمل موجود بعودة الحياة.
تحركت بسيارتي نحو المديرية غالق الزجاج ومتمتع بلذة التكييف تلك النعمة التي رحمني الله به من غدر عدوي الشمس.
وصلت إلى المديرية، ركنت سيارة وردفت لداخل.
أمين الشرطة: إلى أين؟!
- مكتب الرائد مروان العربي.
أمين الشرطة: تفضل، سيقوم بإيصالك.
- أشكرك.
تحركت مع العسكري حتى وصلت أمام باب مكتبه ويسطع أسمه من على الأفتة المعلقة، طرق العسكري الباب ودخل، ولحظات وكنت بداخل.
عندما دخلت وكان المكتب روتيني جدًا مكتب ومقاعده، مكتبة بها كتب في شتى المجالات القانونية والإجرامية، نافذة بها عنكبوت إتخذها ملاذ آمن لحمايته من بقية كائنات الأرض.
وقف وسلم علي ثم جلس وأشار لي بالجلوس.
مروان: تشرب شيء؟!
- أشكرك.
مروان: كيف أنت بمكتبي يجب أن تشرب، بما أنك كاتب فهل قهوتك سادة؟!
ضحكت ثم أجبته قائلًا: مظبوط.

رفع سماعة هاتفه وقال: أتنين قهوة مظبوط.
وفي حين تحدثه في الهاتف لمحت ملف عمار وهو موضوع أمامه حوله العديد من الصور الشنيعة لجثث مشوهة ومقتولة تم التمثيل بها، فهل هو من قام بها؟!
مروان: أعرف أنك مرتبك قليلًا لأنك لا تفهم لمَا أنت هنا، والحقيقة الموضوع ليس له علاقة بتلك المدينة وما حدث بها، الموضوع أعتقد أنه أبشع من ذلك.
- ما هو زدتني قلق.
مروان: في الحقيقة ذلك الملف يحمل أسم الصامت وهذا الأسم تم أطلاقه على عمار لأنه القاتل الذي لم يسمع أحد صوته منذ فترة بعيدة، سفاح وقاتل متسلسل قتل قرابة الثلاثين شخص ومن بينهم ضابطين كانوا يتولون قضيته، أنا الضابط الثالث لها ولعل نهاية أجلي على يديه كما فعل بأقراني.
- أهو خطير لهذا الحد، ماذا حدث له، لم يكن يقتل دجاجة بالماضي!!
مروان: هذا ما دفعنا للبحث عن كل شخص يعرفه حتى لو بقدر صغير، عائلته ماتت في الماضي، زوجته مختفية عن الأنظار وبالطبع نشك بقتله لها، عائلة زوجته قدمت به بلاغات عدة، ولكنه منذ فترة طويلة لم ينطق حرفًا.
- شيء عجيب حقًا، كيف تريد المساعدة؟!
مروان: ماذا كنت تعرف عنه، وآخر محادثة أو إتصال، مقابلة أي شيء يعطينا أي شيء عن تحوله لذلك الوحش.

- آخر شيء علمته، رأيت حالة على الواتس اب كتب بها حادثة له حدثت بتعدي أحد المجرمين عليه وقد أصيب برأسه من ضربة ذلك الشخص.

مروان: منذ متى؟!

- أمنحني لحظة لأخبرك لأننا لا نتحدث كثيرًا وأعتقد أن تلك الأستوري أخر حديثنا.

فتحت هاتفي على تطبيق الواتس اب، بحثت عن محادثته لبعض الوقت ثم قلت

- منذ شهر أكتوبر ٢٠٢٢.

مروان: هل من الممكن رؤية المحادثة؟!

- تفضل.

أخذ الهاتف وظل يقرأ ثم رفع السماعة ولكن الباب طرق ثم فُتح ودخل العسكري بالقهوة ووضعها أمامنا.

العسكري: أتأمر بشيء سيدي؟!

مروان: نادلي الدكتور أشرف من مكتبه.

العسكري: أمرك سيدي.

نظر لي وقال:

مروان: تفضل قهوتك، وهل تسمح بأخذ تلك المحادثة لدراستها لأنه يتحدث هنا وهذا غريب عما يحدث الآن.

- إذا كان سيساعد تفضله بالطبع.

مروان: إذا أرسلها لي على رقمي لكي أتفحصها.

- تمام.

دقائق قليلة وطرق الباب ثم دخل الدكتور أشرف، سلم علينا وجلس على المقعد المقابل لي.
مروان: دكتور هذا حامد صديق قديم لعمار، أريدك أن ترى تلك المحادثة وتاريخها وتقول لي هل تلك معلومة مهمة؟!
دكتور: لا مشكلة أرني.
أخذ الهاتف ورأى المحادثة وسمع صوت عمار في ريكورد صوتي كان أرسله حينها لي، ثم قال:
دكتور: هل من الممكن أن تصف لي عمار حينها أو قبلها، كيف حالته وتعامله مع الآخرين؟!
- بالطبع، عمار من الشخصية النرد كما يصفون، شخصية متوفقة جدًا تعشق الدراسة والعمل على ذاتها للنجاح حيث أنه سبقنا جميعًا ونجح بالفعل قبلنا في عمله بينما كنا نخطوا خطواتنا الأولى في الحياة، ليس من الشخصيات القوية بدنية ولكنه شخص ذكي يستطيع المواجهة بعقله وإخضاع أي شخص تعدى عليه بالضغط على ثغراته ولكن هذا من باب رد الإساءة أو المزاح في بعض الأحيان، ليس دمويًا على الإطلاق، خَير جدًا ويحبه الناس، وكان يقوم بحملات لدور الأيتام المختلفة وزيارة المسنين، كما أعتدنا في زيارتنا أيام الكلية.
دكتور: وبالطبع هذا يختلف كليًا عما نراه في الوقت الحاضر.
مروان: بالطبع، فنحن بصدد رؤية ماكينة قتل متحركة.
- وهذا غريب على مسمعي لأن كما أضحت مسبقًا تلك ليست شخصيته.

دكتور: كيف تعرف على زوجته وماذا كنت تعرف عنهما؟!

- كانت صديقة زميلتنا بالجامعة، تعرف عليها في مقابلة وقت تخرجنا إحتفال بإنتهاء الدراسة للأبد، وكما جرت العادة، خرجا سويًا تقدم لها وتزوجها، أحبها جدًا وكان يفعل كل شيء لحمايتها، حتى أنه حينها كان يتدرب ملاكمة حتى لا يستطيع أحد أن يقل من شأنه أمامها.

مروان: يقل من شأنه أمامها كيف؟!

- في بداية زواجه تعرضت زوجته وهم عائدين ليلًا لمضايقة من مجموعة حمقى مدمنين، تحرشوا لفظيًا بها، فُجرت الدماء في عروقه وتشاجر معهم ليلقنهم درسًا لن ينسوه ولكن الأمر جرى بالعكس حيث أنه وقع ضحية لهم حيث أنهم كانوا لا يشعرون بشيء وهذا يعود للمخدر المتناول حينها فضربوه.

دكتور: وماذا حدث حينها؟!

- زوجته كانت ترى أنه شجاع وأنه كان حقًا يحاول القصاص لها ولكن قوته خانته معهم، ولم تفعل شيء، ظل بسريره يتعافى بضع للوقت وعندما عادت صحته تدرب كما أخبرتكم.

مروان: هل هناك أي شاهد على ما حدث بعدها؟!

- في الحقيقة لست على علم حيث أنني إنعزلت لفترة عن العالم كنت أقوم بعدة أشياء لذا لم أعرف شيء بعدها عنه....ولكن لحظة واحدة.

دكتور: تذكرت شيء؟!

- أتذكر أني بعدها قابلت صديق مشترك لنا على المقهى وكنا نتحدث وأتت سيرة عمار في أطراف المواضيع وذكر لي أنه رأى مشهد غريب لم يفهمه، حيث أنه كان مستقل أتوبيس الهيئة عائد من عمله ليقف الأتوبيس في إشارة الطريق، وكان يوجد شاب يجلس على كرسي متحرك حيث أن أقدامه مبتورة، وكان بطبيعة الحال يطلب الإعانة من المارة وكان عمار يمر على قدميه بجانبه وحينها ظل ذلك الرجل يصرخ وينظر لعمار ويطلب منه العفو والمغفرة، ويحرك الكرسي خلفه ولكن عمار كان غير مبالي ومن كثرة حديث ذلك الشاب وقف عمار ونظر له فقط وإذا بشاب يتراجع بوجه منكسر باكي معدومة روحه، وكأن قصاص الأعدام زج به، وعاد واقف على جانب الطريق منكس الرأس غير مبالي لأي شيء بعدها، كل ذلك حدث في مع يقارب ٣٠ ثانية تقريبًا وكان أغرب شاهد على شخصية عمار الذي لم يكن لها ملامح من قبل.

مروان: هل لك أي تفسير مما قاله حامد؟!

دكتور: في الحقيقة ما نعرفه من العلوم الطبية أن أي صدمات يتعرض لها رأس الإنسان يكون لها تأثير قاسي وغريب على الرأس البشرية حيث أنه قادر يغير طِباع النفس البشرية بالكامل حيث تتحول سلوكيات بالتدريج وبالتبعية تتغير طبيعة ذلك الإنسان بالكامل وبالطبع تأثير الصدمات النفسية مع الجسدية يجعل التغيير كبير وما نحن بصدده في تلك الحالة

واضح، صدمته من خذلان زوجته وأنه ضعيف وغير قادر على حمايتها وبالتالي حينها حدث له صدمة نفسية مقترنة بضربة المدمن على الرأس وبالتالي بدأ التغيير وبعدها بدأ زيادة قوته عن طريق تدريب الملاكمة وهنا أنتهى ما نعرفه ولكن ليس ما حدث حيث أنه من المؤكد حدوث أشياء وصدمات أخرى غيرت شخصيته وجعلت منه ماكينة قتل متحركة صامتة، تعشق الصمت وتلذذ بالتعذيب كل من يقف أمامها بطرق لا تخطر على بال أحدهم.

مروان: وما هو الحل؟!

دكتور: أظن أن تلك الحالة سيكون من العسير علاجها نفسيًا حيث أن تلك المرحلة من الممكن أن تقضي على كثيرين مما يحاولون مساعدته وللأسف هو يترجم تلك المساعدة لفعل عدائي ضده وبالتالي يتخلص منه.

- تقصد أن العلاج مستحيل؟!

دكتور: لا يوجد شيء مستحيل ولكن النسبة قليلًا جدًا.

مروان: سيكون الحل أما التخلص منه أو بوضعه في مكان لا تصله الأيادي حتى لن نخسر أكثر.

- ومتي سيحدث هذا؟!

مروان: في الغد سيتم ترحيله إلى مكان آمن عن بقية الأشخاص حتى معاد الحكم، وبالمناسبة وأريد أن أريك شيئًا.

- ما هو؟!

يفتح اللاب توب الخاص به ثم يدير الشاشة نحوي، يضغط زر التشغيل، المقطع مصور من كاميرا مراقبة، المكان واسع وهو

مخزن قديم فارغ، التوقيت ليلًا، يظهر مجموعة من الشبان الجالسين يتعاطون المخدرات حول شعلة نار، لحظات من النشوة والسعادة الفائقة لهم ولكن لم تكمل الفرحة، ظهر عمار ووقف أمامهم.

يظهر المقطع بأن الشبان يحدثوه ولكنه لا يجيب، أخرج شاب منهم مسدسه ولكن في سرعة يصيب عمار بسكينه رأس الشاب فيخر جثة فورًا، يتحرك بقية الأشخاص نحوه ولكنه في خطوات بسيطة يضربهم ويجعلهم على الأرض، ولكنهم مازالوا أحياء، بعد ذلك قرر سحب أحدهم ووضع رأسه في الشعلة لنسمع صراخ حريق الرأس، حاول شخص آخر الهرب ولكنه كسر له أطرافه الأربع، ثم كسر رأسه، والاثنان الآخران مسك رأس واحد منهم وأخرج هاتفه وطلب الشرطة ثم قرر أن يكون رحيم معهم بطلقة في رأسهم.

- هذا المقطع كأنه مأخوذ من فيلم.

مروان: القادم سيثير دهشك أكثر.

يضع عمار الجثث فوق بعضها ويجلب كرسي أمامهم ثم يأتي ببيتزا ويضع كرتونة على ظهر الجثث وكأنهم طاولة يبدأ في تشغيل أغنية أجنبية ويأكل في تمتع!!

- ما هذا يدل على عدم الرحمة؟!

مروان: المقطع لم ينتهي للأسف، هذا ما فعله مع رجال الشرطة.

نرى أفراد الشرطة يدخلون المخزن ولا يوجد أثر له ثم نسمع صوت طلق نار وإذا بأسطوانات الغاز تنفجر في الأفراد ويموتوا.

- الأمر لا أصدقه، هل لي بمقابلته من الممكن المساعدة بشيء؟!

نظر الدكتور إلى مروان في صمت، ثم نفث مروان وقال:

مروان: لا أعتقد إنها فكرة جيدة فهو خطير جدًا.

- أعرف وهذا على مسئوليتي الشخصية، خطير على الجميع ولكن ليس بصديق قديم.

نظروا مرة أخرى لبعضهم ثم قال مروان:

مروان: هيا بنا ولعل الأمور تسير بخير.

قام ثلاثتنا وترجلنا من المبنى وركبنا سيارة مروان وتواجهنا إلى قطاع ٨ غرب بداخل مستشفى العباسية.

أنظر من سيارة إلى الشوارع المؤدية إلى المستشفى.

- لما تم وضعه هناك؟!

الدكتور: عمار هو قاتل لديه علة نفسية ولذلك يجب وضعه هناك حتى يتم اتخاذ قرار رادع في حالته وإذا ثبت وعيه سيطبق الحكم بالإعدام وأما إذا ثبت أنه ذو علة سيتم علاجه وهذا الوضع الطبيعي ولكن حتى الأن جميعًا نجهل مصيره.

وصلنا إلى قطاع ٨ غرب مشدد، الحراسة كثيرة ذو اسلحة عادية وثقيلة، أبواب تؤدي إلى أبواب تمنعك بكل ما فيك من الهروب سجن بداخل سجن، ردفنا من أبواب أجهل عدها وحتى نزولنا لمكان يشبه البدروم، نحن في مكان مظلم قليلًا

الإضاءة فيه باهتة، الباب قديم متآكل وعليه ما يقارب الخمس أقفال، يقف عليه أربعة أفراد قوات تدخل سريع مع ضابط، حراسة ليست كأي حراسة ولأنه ليس أي شخص بل هو الصامت!!

نظر لي مروان وقال:

مروان: حامد ستدخل وحدك وإذا شعرت بأي شيء مريب فقط أضغط ذلك الزر وهي لحظات وسنكون عندك بداخل لا تقلق، اتفقنا.

نظرت إليه ثم نظرت إلى الباب وكأنني سأقابل الموت ذاته، الجميع مرتبك والضابط الأخر يقول في الاسلكي.

الضابط: حسن معك صلاح.

حسن: معك تفضل.

الضابط: أرسل عشر أفراد دعم في الحال.

عودت لنظري لمروان وقلت:

- إتفقنا لا تقلق.

أشار مروان للحارس بفتح الباب، فتحرك الحارس وفتح الإقفال ثم الباب، وعندما فتحه وجدنا جميعًا عمار يقف وراء الباب ينظر لنا جميعًا في صمت!! أشهر الجميع سلاحه ثم صرخ الضابط فيه وهو مشير بسلاحه عليه.

الضابط: عد مكانك والإ هشمت رأسك بسلاحي...عد.

لحظات وتبسم عمار لبرهة ثم عاد ببطء شديد وجلس على زواية الأرضية هناك ناظر إليِ ولم ينزل عيناه للحظة عني، وقفت أنظر له وإذا بمروان يمسك ذراعي ويقول:

مروان: إذا أردت المغادرة لن ألومك.

- سأكون بخير لا تقلق.

ردفت للداخل بخطوات تهتز قليلًا وكأني بقفص الأسد منتظر انقضاضه في أي لحظة ليجعلني أشلاء متناثرة، نظرته الثابتة لك تقتلك بدون تحركه وكأنك جان عالق حتى الافتراس كما تفعل الذئاب.

يوجد مقعدين، فجلست على واحد بينما هو جالس في الزاوية، الإضاءة تكاد تنعدم، الهواء يملئه الكآبة واليأس والشر، أغلقوا الباب علينا، وإذا بي أجد فقط نظرة ثابتة ولا تهتز.

- أهلا يا عمار تتذكرني؟!

لم يجيب ولم يهتز.

- كنا سويًا في الكلية تتذكر؟؟

- تذكر زينب صديقة زوجتك بسنت؟!

وعند ذكر اسم زوجته قام فجأة وهنا سقط قلبي وجاءتني نوبة هلع، وزادت ضربات قلبي للمقاييس القصوى.

ولكنه جلس على المقعد المقابل لي واضعًا قدمه على الأخرى ومازالت نظرته لم تتغير.

هدى قلبي وبدأت أخذ أنفاسي، وأكملت.

- أعرف أنك حزين كالأيام الخوالي ولكن على كل حال بطل فاعل للخير تذكر كما روح عادت للحياة بسببك، وسعاد تلك الفتاة التي تبرعت لها لتكمل تعليمها والآن هي في الاعدادية تخيل؟! أريد مساعدتك وكل من هنا يريد ذلك لذا فقط تكلم قل ما بك أي شيء...

وقف ثم قام بتصفيق هو وإتجه إلى الحائط.

- عمار أين بسنت؟! وأين ذاتك، ساعدنا فقط، أريد مساعدتك.

تحرك بسرعة وألقى المقعد بعيدًا وقبل ضغطي على الزر كان هناك ما يقارب من خمسة عشر رجل من رجال التدخل السريع واقفون حائط بيننا، ونظرت إلى الحائط وقد كُتب شيء غريب (النرد)، (صاحب السر).

جذبني مروان بسرعة للخارج وخرج الرجال وأغلقوا الباب بسرعة عليه وبرغم كل هذا ولكنه لم ينزل عيناه قط عني!!

مروان: قلت لك لن نستفاد شيء من ذلك.

الدكتور: هل تعرف ماذا يقصد بتلك الكلمات التي كُتبت؟!

أخذت أنفاسي وقلت:

- ذلك الاسم الذي كان الجميع يناديه به النرد، أما صاحب السر فلا أريد أن تعتبرني مجنون ولكن أعتقد أنه واقع في وحل الغيبة حيث أن تلك الأفعال من وحي الشياطين، تلك الجملة رأيتها في غرفتي وقد مُسحت في ثواني وها أنا أراها ثانية، عمار تحت تأثير شيطاني.

مروان: حتى لو صدقتك من سيصدق شخص قتل أكثر من ثلاثين شخص، في كل الأحوال لم نستفاد شيء لنغادر.

خرجنا جميعًا من المبنى ثم عاد بنا مروان إلى المديرية حيث كانت سيارتي هناك.

وقفنا أمام المبنى وقال:

مروان: لا أريد أن يعرف أحد بما حدث هناك، وإذا كان بالفعل تحت تأثير الشياطين فليساعده الله فنحن ضباط قانون ولسنا شيوخ.

وقفت أنظر له في صمت بينما يدخل مروان والدكتور مرة أخرى إلى المديرية، فركبت سيارتي وغادرت، وطوال الطريق عقلي تملئه الأفكار وكلها يتمحور حول عمار، في حقيقة عمار كان من الشخصيات لا أقول عادية ولكنه أقل مني بكثير، في كل شيء لذا كنت في لحظات كثيرة أستبعده من أي تجمع لأنه لن يواكب رحلتنا لذا أفضل إبقائه بدلًا من تصادم الجبهات، ونحن لا نريد كآبة نريد فقط الإبتعاد عن كل شيء يسقطنا من الفضاء، وحدثت تصادمات عدة بيننا في أيام الجامعة وكنت حينها برغم من قوته العقلية إلا أنني كنت أفوز، أما بالحجة أو بكسره، تريد الشهرة والمعرفة والقوة لن تنالها إلا بكسر من يعترض طريقك أو بمالك، باقي الطرق لن تفيد وستكون بطيئة للغاية. من منا يريد خسارة لا أحد ولنجاح طرق وغايتي وصلت لها بطرقي، من منا ملاك؟! من منا لم يخطئ؟! كلنا لدينا غفوات وثغرات وذنوب وقعنا بها، وإذا كنت تستنكر فعلي فأنظر لحالك عزيزي، أنظر لذاتك وتذكر كل مصائبك وذنوبك، هل أنت خالي منها؟؟ لا صحيح، لذا اصمت.

عدت للمنزل والقيت بجسدي على السرير وسقطت في ثبات ثقيل من النوم.

•••

في صباح اليوم التالي...

عربات ترحيل عمار جاهزة لنقله من هنا لمكان أشد حراسة حتى معاد جلسته، خرج الصامت مقيد بالسلاسل في يده وقدمه، وساعده ليركب العربة الترحيلات ومعه ثمان رجال من قوات تدخل السريع مسلحين، ويوجد عربتان يحطان عربة الترحيل، وبعدما تم تأكيد كل شيء روتيني بدأت العربات بالتحرك.

برغم من أننا في بداية اليوم ولكن الشمس تعلن بكل قوتها عن وجودها ولا تأب أحد، عربات تتجه لمكان غير معلوم في الصحراء حيث يتم وضع عمار حتى معاده.

•••

الساعة الآن تشارف على السادسة مساءًا والعربات لم تصل!!

تواصل المندوب المكان مع مندوب المشفى وأكد بخروج السيارات من عنده وأنه يجب وصولها عند الثانية عشر ظهرًا ولكنها لم تصل فماذا حدث؟!

وتم رفع درجات الطوارئ القصوى وتتبع سير العربات وعند الثامنة مساءًا وجدوا العربات وهي واقفة على الطريق ولكن يوجد أثأر واضحة للهجوم بطلقات النيران، وباب عربة الترحيلات كان القفل تم إذابته، والسلاسل المقيدة للصامت موجودة ومذابة عند موضع الربط، جثث الضباط هنا وهناك، ولكن هناك ضابط على قيد الحياة، واستدعوا الإسعاف وتم نقله لأقرب مشفى.

رفع ضابط التحقيق هاتفه واتصل على مروان العربي.
ضابط: الرائد مروان العربي معك سيد رضا.
مروان: أهلا يا سيد تفضل.
ضابط: الصامت هرب!!
مروان: هرب كيف؟!
ضابط: لا أحد يعرف وجدنا السيارات على الطريق ووجدنا جثث الضباط والعساكر ولا يوجد غير واحد على قيد الحياة وتم نقله للمشفى، وعلى ما أظن يجب رفع درجات الطوارئ القصوى حيث أن قوات التدخل السريع لم تفلح مع شخص واحد، نريد قوة أكبر، استدعي ٧٧٧ او ٩٩٩ أي فرقة لتطيح بذلك الجرذ، وأظن ذلك كان حديث اللواء سعد وليس حديثي صحيح.
مروان: أتذكر، سأتصرف المهم أرسل إحداثيات مكانك وحاول معرفة أي شيء وسأبلغ القيادة، وذلك الضابط أذا أفاق أبلغني فورًا.

•••

تحرك الضابط مروان نحو المديرية واتجه لمكتب اللواء سعد، طرق الباب ودخل، وجد اللواء سعد بحوزته مندوب قوات مسلحة مع عدة أطراف أخرى لتقدير الموقف.
اللواء: ها قد وصلت أخيرًا، علمت بما حدث؟!
مروان: للاسف.
اللواء: هل عندك تفسير؟!
مروان: حتى الآن لا سيادتك، نجري البحث حتى الآن.

اللواء: تقرير يكون عندي في مساء اليوم عما حدث وأريد ذلك الصامت في قبل بداية اليوم التالي، لا نريد العب، مجرد فرد واحد لا تقدر عليه فرقة كاملة، ومندوب القوات المسلحة سينهي أمر ذلك الفرد إذا لزم الأمر، تفضل وأنجز ما قلته.

مروان: تمام سيادتك.

غادر مروان متجه نحو المشفى لسماع ما حدث من ذلك الضابط.

•••

أجلس أمام تلفازي أشاهد مسرحية قديمة من تراث الزمن القديم، في العادة لا أشاهدهم ولكنه مجرد حنين قديم لذكريات مع والدتي وأنا جالس أشاهدها وأضحك وهي تنظر لي وأجلس في حضنها وأكل فشار معد خصيصًا لي، كنسمة ربيع هي في يوم حار.

هاتفي يرن، أخفض صوت التلفاز وأمسك هاتفي لأجده مروان.

- الو.

مروان: حامد أخبارك، أنظر عمار قد هرب من عربات الترحيل ولا أحد يعرف أين هو لذا أحذر أو لو علمت أي شيء أخبرني فقط.

- أكيد...أكيد، ولكن متى حدث هذا؟!

مروان: منذ ساعات قليلة ونتمنى السلامة والستر من الله لأن ذلك المختل لن يدع اليوم يمر بسلام أعلم، سواء كنت أنا المستهدف أو أحد أخر فذلك المعتوه لا نعرف كيف يفكر.

- خير إن شاءالله تفاءل.
مروان: المهم مثل ما قلته لك نفذه وحاول عدم الخروج من منزلك تلك الفترة.
- تمام.
أغلق مروان الخط وتركني في وسط مستنقع الخوف أفكر فيما سيحدث لي أو لأي حد منه، فهل سأكون من ضمن ضحاياه؟!
لا أحد يعلم...ولكن يبدو أنني لن أفكر كثيرًا حيث أنه هنا أمامي ينظر لي من غرفة مكتبي، لا أعلم إذا كان ذلك هو الشيطان الذي يلزمني ويريد استغلال الموقف وإخافتي أم هو هنا بالفعل، ولكن ماذا فعلت له ليكون هنا؟! أم يبدو أن الإنتقام القديم من أيام الدراسة سيكون مصيري؟!
إقترب بنظرة ثابتة ووجهه صخر، وقف أمامي ثم ضربني بشيء حديدي وغبيت عن العالم..
•••
في المشفى...
يقف مروان مع الطبيب المعالج لضابط أمام الغرفة ويقول:
الطبيب: تعرض لطلق ناري أصاب منطقة الكتف ولحسن حظه لم تصب القلب، مع تعرضه لكسر في الذراع الأيمن وكدمات قوية بالضلوع، والآن قد استعاد وعيه وتستطيع سؤاله ولكن لا تضغط عليه.
مروان: مفهوم.
الطبيب: تفضل.

دخل مروان الغرفة ليجد الضابط حسن ملقى على السرير والأجهزة حوله والأربطة حول أماكن إصابته وكأن سيارة دهسته وليس شخص ضربه.

مروان: حسن...حسن كيف حالك؟!

حسن: بخير سيادتك.

مروان: هل تستطيع قص ما حدث؟!

بصوت مبحوح قال:

حسن: نعم. ما حدث أنني كنت مع سبع زملائي في العربة وهو، ثم فجأة وجدنا رائحة قذرة جدًا لم نستطع تحملها وفجأة أخرج هو سائل من جيبه وفقط رشه على الحديد المقيد به فذاب، يبدو أنه كان لا يتنفس حيث كان لا يوجد حركة لبطنه أو لصدره، الرائحة قوية وإذا به ينقض علينا ونحن نحاول مقاتلته ولكن الرائحة الكريهة ومثل ما تقول تُضعفنا، طرقنا على العربة ووقفت وعندما فتحوا الباب كان معه أسلحتنا وأطلق النار عليهم، هذا ما شاهدته قبل ما أغيب عن الوعي.

مروان: حمدلله على سلامتك، كن قويًا لنراك في الساحة مرة أخرى.

حسن: أعتني بنفسك لأنه لن يدع أحد يعيش، وكأنه أقسم على قتل كل من تجرأ عليه ولو بلفظ.

نظر له ثم ربط على كتفه وغادر.

هاتف مروان يرن وكان سيد هو المتصل.

مروان: معك ما المستجدات؟!

سيد: سيدي وجدنا آثار لمادة التي أذابت الحديد وهي مزيج حمض النيتريك مع هيدروكلوريك وتلك المادة تذيب الحديد بالفعل وليس له تأثير على الإنسان، وجود أثار شيء بفرز مادة رائحته قوية ولكن لم نعرف ماهيتها حتى الآن.

مروان: هل الوضع يسوء أكثر؟!

سيد: أعتقد أنها البداية، جاءتني أخبار عن رؤيته في نطاق الزمالك.

مروان: الزمالك...حامد، أغلق إذن.

رفع مروان هاتفه واتصل بحامد ولكن لا رد، فقرر التحرك لشقته.

ساعة ونصف وكان هناك، كان باب شقته مفتوح ولا أحد هناك ويوجد آثار دماء على الأريكة ولكن إلى أين أخذه؟!

•••

فتحت عيناي لأجدني هنا في مكان أعرفه فكان ذلك المكان الذي تحديت فيه الشباب ليأتوه في ذروة مراهقتنا مشرحة حلوان، مكان مهشم وملئ بالألغاز وككاتب رعب ألفت العديد عنه ولكنه المرة الأولى التي أكون فيها رهينة وضحية ولست القاتل وكأن شخصياتي تنتظر القصاص منذ فترة والآن وقت تحقيق العدل.

غرفة العلوية في المكان، المكان يملئه الحجارة والثعابين، الصمت والذي هو سلاح الصامت لكي يقتل بدم بارد، فهو يقتلك بصمته ونظرة عينه لكي تكون جثة تنظر فقط ثم يقتلك،

وها هو يظهر أمامي يدخل الغرفة وهو يبتسم لي للمرة الأولى في حياته.
يظهر ظل الشيطان خلفه وهذا كالعادة نظير شؤم، نظر لي وجلب مقعد وجلس أمامي وسمعت صوته، ولكن تلك المرة الصوت مقطع وغليظ وكأن الدنيا قطعت حباله الصوتية.
الصامت: تتعجب صحيح؟!
- أتعجب من ماذا؟! ماذا فعلت لك أتركني!!
الصامت: عندما حدثت تلك الحوادث الكثيرة حولت مبدئ من مساعدة الناس للقصاص لذاتي التي مرت بأهوال وتعرضت لكثير من التقليل، وكنت حينها ضعيف ساذج، لا أعرف حينها لماذا كنت كالجرذ؟! غريب أن شخص تأفه مثلك يدمرني بكلماته من أجل نيل محبة والقوة من الأخرين وكان هذا على حسابي، ولكني تركتك حينها وسامحتك لأننا كنا أطفال مراهقين، وعندما كبرنا وأقصد بكبرنا بأننا تخرجنا من الجامعة ووجهنا فظاعة الخلق في تعاملهم، وعدم الرحمة، بدأت كل روابط الكره للبشر في التجمع وعندما قتلتموني أول مرة بضربي أمام زوجتي كانت هذه بداية نزيفي والذي منذ حينها تغير الوضع تمامًا.
- صدقني أعتذر كنا حينها أطفال مثلما قلت ولكن الآن الوضع تغير وقد تغيرت أيضا وأريد تكفير ذنوبي.
الصامت: شششششش.
رفع إصبعه ووضعه على فمه مشيرًا لي بالصمت.

الصامت: عندما أتحدث لا تقاطعني مرة أخرى، كم مرة تركتك تتحدث وقاطعتني وجعلت مني أضحوكتك أمام بقية البشر، وعندما أحببت زينب في أول سنة لنا بجامعة، واعترفت لها أيضا، وكنت أستعد لذهاب لوالدها، عرفت أنت ولكن ماذا فعلت حينها ها...ذهبت وتعرفت عليها وأصبحتم صديقان عزيزان، وأيضا أصبحتما تنزلان نفس الحالة على الواتس آب بمحادثتكم وكأنكم تريدان قول شيء واحد لي، انت نكرة ليس لك وجود، صحيح؟!

- ليس صحيح....

الصامت: قلت صحيح إذا هو صحيح بالفعل، تركتها لك، ولكنك مازالت ترأني المهرج الذي جلبه لك والدك في عيد ميلادك، وسامحتك في النهاية، ولكن تبدلت الأشياء وأنت تعلم يا عزيزي أن الأيام دول، وتغيرت كما تغير البقية ولا تتعجب ألست بشر مثلكم؟! أم سنة التغيير لا تنطبق على ما لا يعجبه الناس؟! فقررت محو أي حد جعلني حزين ولو لبرهة وأنت جعلتني أضحوكة دهر كامل...أتعلم بأني كنت أنوي الموت وانتظره فقط وأعتقدت أنني أنهيت كل من ظلمني في تلك الحياة ولكن ظهرت أنت البارحة بغرفتي تريد مساعدتي لذا قررت شيء واحد وهو جعلك تشعر كما شعرت وهذا هو القصاص يا صديقي وأنا ترتعد كلما سمعت اسم عمار أو الصامت.

- ظهرت لأكفر عن ذنوبي وما بدر مني بالسابق، أعرف أنك لا تقبل ذلك الاعتذار، أعتذر عن ماذا؟! كيف لي

تكفير ذنب طال وعذب روح ورد إساءات طالت بكلمة آسف أو أعتذر لا شيء يضاهي ولن تسامح، لذا....إقتص لذاتك.

نهض الصامت وأقترب نحوي وبدأ ينهال بلكمات لوجهي، بدأت أسعل وكل خلية تصرخ من حجم الضغط الموضوعة فيه من فرط قوته، ثم تركني، أخذ أنفاسي بصعوبة بالغة...الغرفة تدور من حولي الأبعاد تختلف وكأني في فضاء.

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

ضحك الصامت ضحكة كبيرة.

الصامت: غريب الإنسان يغفو عن ربه ويضل في هاوية الذنوب ثم عند شعوره فقط باقتراب النهاية يرفع يده للطلب المغفرة والتشهد ظنًا منه أنه سيكون من أهل الجنة صحيح؟!

- لا أنكر ذنوبي، فقد أذنبت ولكني توبت وتغيرت ولم أكون كالسابق، كنت مهووس بالشهرة والآن لا، فقد كنت شيطان وعدت إنسان، ضللت الطريق وعدت لليمين، ألم تذنب أنت، ألم تخطى يا عمار....أجب هل أنت من ملائكة السماء؟! أنت بشر مثلي..كلنا نخطئ ونعود هذه طبيعتنا يا عمار لا تنسى ذلك.

الصامت: صدقت ولكن لكي تغفر الذنوب وجب وجود الحساب لذا يجب أن نحاسب حتى لو إعتذرنا.

- لما بين كل أولئك البشر إخترتني لكي تسمعني صوتك الحميد؟!

الصامت: لأني قد نسيت الحديث، وكنت أريد في نهاية قول شيء يسمعه العالم لأفرع ما بجعبتي وأغادر في سلام.

- ولماذا تغادر انت حي لتكمل حياتك وعش ما فاتك؟!

الصامت: الموت محقق لي لا محالة، هل قانونك سيصفح عن شخص مثلي؟! شخص يأخذ حقه ممن ظلمه...لا، وهذا يأخذنا إلى موسوعة ظلم كبيرة يا صديقي حيث أن القانون الحالي يمنع الجرائم ولكن إذا قامت الناس بإيذائك لن يفعل شيء، تخيل ذهابك لأقرب قسم شرطة وتقول لضابط أن فلان قد كسر قلبي بحديثه ووبخني وجعلني أضحوكة المكان، ماذا تعتقد أنه سيفعل ها؟! من المؤكد سيقول لك شيء مثير لشفقة وهو يدعو عساكره ليزجوا بك خارجًا أو يلقوك في الحبس، هل ما أقوله خيال علمي بالطبع لا؟! وبالتالي إذا عدت سيكون مصيري الهرب طوال حياتي وللأسف لا أريد هذا ثانيةً أريد الراحة والذهاب لها.

- بسنت؟! هل قتلتها؟!

الصامت (بقوة) : أصمت وهل يقتل أحد منا قلبه؟! هل يدمر روحه؟! بالطبع لا...لا..فقد حرموني منها أشباه الكلاب. حاولت حمايتها أقسم أني حاولت ولكن الأوان قد فات!!

- كيف؟!

الصامت: بعدما ضربوني وجعلوني لا أساوي تراب الأرض، تدربت وعدت لهم وقطعت أقدام واحد منهم وقتلت الأخر، وهنا إرتاح بالي وعدت لحياتي عادية، بالطبع لا يعيش الواحد منا حياته وهو قاتل ولكن إحساسه بالانتصار على شيء كسره

شعور لا يضاهي، بسنت بطريقة لا تقصدها كانت تحاول حمايتي من أي خطر يجعلني أقع في فخ الشر، ولكنها لا تعلم بأن طريقتها هذه جعلتني أرى نفسي مجرد طفل أرتعد وخائف بين ذراعيها، وهذا يجعلني أشعر بأنها لم تتزوج رجل قط، لأني فقط غير قادر على حمايتها، وقد عاهدت الله ووالدها على حمايتها قدر المستطاع لذا...لذا وجب القصاص، وبالطبع بعد ما تخلصت من إثنين الموضوع لم ينتهي، أخذت بسنت فرحًا وتوجهنا لمرسى مطروح لجعلها سعيدة، ونحن في الطريق وجدت الاثنين الآخرين ومعهم شخصان آخران ورأئنا بسيارتهم وثم أطلقوا نار فتوقفت ثم تشابكنا ولكنهم ضربوني بأسلحة خشبية وأخذونا إلى منزل في الصحراء، حيث قيدوني في النخلة بالخارج وضربوني طوال الليل وبسنت أخذوها للداخل المنزل، وبالطبع تعرف ماذا حدث ظللت أسمع صراخها وأنا أحاول فك قيدي وكلما أحاول أجدهم يضربوني على رأسي، ويضحكون متمتعين حتى فقدت الوعي واستيقظت لأجد الهدوء الشديد والشمس الحارقة، لا أتذكر ماذا حدث؟! سمعت فجأة وكأنني سمعت صوتها ثانيةً فقمت وحاولت فك قيدي حتى فلحت وركضت على المنزل ولكنها كانت قد ماتت بالفعل!!

وصرخت بأسمها يا بسنت....ولن يسمعني أحد وبعد عدة ساعات بدأت النيران في الاشتعال في عروقي وأصبحت كالمجنون ولكن في البداية لن أتركها هكذا لذا غسلتها ثم

غيرت ملابسها من ملابس التي كنا سنصيف بها ودفنتها هناك.

- لا اله الا الله، وهل الموضوع انتهى هناك؟!

ضحك ضحكة كبيرة ثم قال:

الصامت: بل البداية فقد عدت لأول شخص قطعت أطرافه وعلمت كل شيء عن البقية وفي البداية قتلت عائلتهم حرقًا، ثم خطفت زوجاتهم ودعوتهم لذات المنزل في الصحراء وعندما أتوا أربعتهم، ذات الأربعة الذين انتهكوا حياة بسنت ومماتها، كنت قد أعددت لهم المصيدة ووقعوا بها وكسرت أطرافهم الأربعة جميعًا ولكني لم أنتهك حرمات زوجاتهم مثلما فعلوا بل ذبحتهم فقط أمام أعينهم وعندما أنتهيت جلبت ثعابين الصحراء ظلوا يلدغوهم وعندما انتهوا جلبت أربعة كلاب ونهشوا لحومهم وغرست لهم السم وماتوا من كثرة الصراخ.

- وهل بردت نيران انتقامك؟!

الصامت: أقسم بالله لم تبرد شبر واحد من تلك الحمم التي تنهش في قلبي كل ليلة.

يخرج الصامت عصا ثم يأتي نحوي ويقوم بضرب قدماي...أصرخ من الضربات، عظام قدمي تتهشم، ولكن يلقي العصا بعيدًا ويصرخ ثم يغادر.

الدماء تسيل من فمي، أنفاسي متقطعة وقدماي تولمأني للغاية، يجب علي الهروب قبل أن يكمل عشائه معي ولكن كيف، ظللت أنظر حولي وأفكر والفكرة المعتادة أوقعت نفسي على الأرض ثم ظللت أمرر الحبال على الصخر حتى إنقطعت،

وحينها عدلت من هيئتي ثم خرجت خارج الغرفة، الساعة الآن تشارف على الثانية عشر صباحًا وأنت موجود في مشرحة مهجورة وليس معك مصدر إضاءة ويبدو أنك تشعر بذات شعوري!! أحاول أن أهتدي إلى أي طريق للخروج ولكن كل الأبواب متشابها....ماذا هناك أحد!! يحمل مصباح ينير وقادم نحوي، ركضت في سرعة واختبأت ولكني أراه وهو ليس عمار بل رجل يحمل مصباح زيتي قديم، يلبس زي الممرضين قديمًا وملابسه ملطخة بدماء يمر بخطوات ثابتة تحمل الشر وبوابات الجحيم، مر. أخذت أنفاس عميقة ثم ستحرك لكن أوقفني صراخ سيدة، أصابني الهلع ما هذا؟! أجد ذلك الممرض يجر سيدة من شعرها وهي على الأرض، وعندما مروا من أمامي كانت بطنها مشقوقة وتنزف!! يا الله أريد الخروج من ذلك الهلاك، تحركت بسرعة وأدخل غرفة أخرى لأجد مجموعة أطفال تلعب بجمجمة هيكل عظمي!! يقذفونها لبعضهم البعض ويضحكون، ركضت لغرفة أخرى ولكن عندما دخلت الغرفة وجدتها مصمتة فقد إختفت الأبواب، ركضت نحو مكان الباب أطرق ولكنه حائط أسمنتي قوي، عدت بنظري للغرفة ولكن تغيرت ملامحها وكأني موجود فيها وقت شبابها، يوجد ثلاجة الموتى على أقصى اليمين، مكتب الطبيب هناك، تلفاز متهالك، طاولتين أحدهما فارغة والأخرى يوجد عليها جثة مغطاة بملاءة سوداء، ذلك اللون غريب لما يستخدموا ذلك اللون هنا؟؟ تحركت ببطء داخل الغرفة وسمعت صوت همسات تأتي من الثلاجة وتقول:

(لم أنتحر)، (القصاص)، (حامد).
اقشعر جسدي عند ذكر اسمي، ياللهول أريد الخروج حالًا، صوت طرقات تأتي من داخل الثلاجة، صوت باب يفتح فنظرت ورائي لأجد باب الغرفة بلون أبيض باهت يفتح وأحد يدخل، وبسرعة تخفيت تحت طاولة التلفاز.
فُتح الباب لأجد ذاك الممرض يجر الفتاة ويقوم بوضعها على الطاولة الفارغة وهي ساكنة لا تصدر أي أصوات، ثم قام برفع الملاءة عن الطاولة الأخرى لأجد جثة طفلة ترتدي فستان، والطفلة والفستان يدل على أنهم كانوا في الماء لفترة طويلة، نظر لها ثم أخرج سكين وغرسها في صدر الفتاة والتي بدورها تحركت وكأن صاعقة كهرباء أصابتها، سحب السكين وقام بمسح الدماء الذي عليه في ملابسه ووضعه على طاولة الجثة الثانية ثم غادر.
خرجت من أسفل الطاولة وركضت بدوري نحو الباب ولكن لا يفتح، جربت ضربه بكتفي لكسر الكالون ولكن صخر، وجدت عصا فجذبتها حتى أكسر زجاج الباب ولكن لا شيء أيضا.
عدت لأجد شيء آخر لكي أفتح به الزجاج ولكني وجدت طاولة الفتاة فارغة!!
أين هي وكيف تحركت؟!
ضوء إضاءته تنخفض لضوء باهت جدا ولكنك ترى، هل هذا حقيقي أم خيال؟! ما الذي أتي بي هنا؟! نعم...نعم الصامت خطفني، هذا كله خيال وفعل شيطاني، لن أهزم...لن أقع في أسرهم، أنا قوي.

أنظر في أرجاء الغرفة وإذا بباب ثلاجة يفتح وحده!!
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.
شيء سحبني من قدمي وجعلني أقع على ظهري!!
ثم سحبني بسرعة نحو ثلاجة الموتى وأغلقوا الباب علي!!
لا يوجد ضوء ولا نسيم هواء.... أشعر بضيق تنفس، هل هناك أحد يمسك قدمي؟! هل أصاب عقلي الخرف؟؟ أتوهم؟! وإذا كنت أتوهم أين أنا؟! أشعر بفحيح ثعبان يسير على بطني، أحاول تحريك يدي ولكنها تأبى التحرك، وكأني مشلول!!! لا بل أنا لا أتحرك!! يسير ببطء شديد صاعد على صدري ثم رقبتي، أشعر به نحو فمي وأنفي وها هو بين عيناي!!
أشعر بلسانه على قسمات خلايا وجهي، ثم سمعت صوته مرة أخرى ثم لم أشعر به ثانيًة، يداي تتحركان لأعلى وكأن أحد يحرك دمية، ثم يتم جذبها يمين ويسار!!! يريدوا تمزيقهما....الألم يشتد لدرجات قصوى أصرخ ولا أتحمل...ثم فجأة هدوء وراحة، تركوا يداي، ومازال الألم ينبض بهما، فُتح باب الثلاجة وبسرعة خرجت لأسقط على الأرضية.
ألتقط أنفاسي المتقطعة بصعوبة، المكان كما تركته، طاولة فارغة وطاولة بها سيدة، تحركت نحو السيدة ولأول مرة أرى وجهها بوضوح فهي بسنت زوجة عمار، عيناها مغلقتان، وجرح بطنها مازال ينزف وكأنها تصرخ، تحركت بعيد عنها ولكنها مسكت يداي وجذبتني نحو الطاولة، وتبدلت الأدوار أصبحت النائم على طاولة وهي من تقف بجانبي، قيدتني بسرعة كبيرة، ثم وجدت تلك الفتاة على رأسي وتصرخ!!

تصعد الفتاة وتقف على صدري ووزنها ثقيل للغاية أشعر وكأن صدري سيتهشم، بسنت تضحك وتحمل العصا وتضرب ساقاي مرة أخرى!!!

أصرخ من الألم وعينان تسقطان وابل من الدموع على ما يحدث بجسدي الضعيف، ولحظات من تعذيب ثم يتوقفوا، يأتي ذاك الممرض ويحرك الطاولة للأمام، تفتح بسنت الباب، وتلك الفتاة مازالت فوقي، أخرجوني للخارج والضوء أصبح منعدم يكاد ينير على ضيء القمر، أختفت بسنت، ثم أختفت الفتاة، ولحظات والممرض معهم، ووجدتني في مكان مهجور كما كنت، مقيد على الطاولة، وهي لحظات وظهر الصامت وجرني على ذات الغرفة ونظر لي بغل، ولكنه يرى علامات الفزع الشديد على وجهي.

الصامت: رأيتهم؟!

هززت رأسي مجيب بنعم.

الصامت: رأيتهم أيضا، ولكن ستتعود عليهم وتكون صديقهم.

الفتاة تظهر في السقف، تقف بالمعكوس وتنظر لي وهي بدون عينان.

- أقتلني وأرحني من ذلك العذاب أيها الأبله!!

ينظر لي فقط ولا يقل شيء.

- أظن هذا كفيل بتكفير ذنوبي وإذا لم يكن كفيل فأرجوك هشم رأسي أو أغرس سكينك في قلبي لننهي هذا العناء.

فجأة تحرك نحوي ثم فك قيدي ووضع ورقة في جيبي، لكمني ثم غادر.

توقعت بأنني أجده يأتي ليكمل عشائه ولكن لم يعد، مر أكثر من نصف ساعة ولم يعد موجود.
سمعت صوت سيارات الشرطة تحاوط المكان ودقائق قلائل وإذا بي أجدهم أمامي قوات التدخل السريع مع مروان.
مروان: أنت بخير، أين هو؟!
- تركني منذ أكثر من نصف ساعة.
مروان: لم يقل إلى أين سيذهب؟!
- لا، ولكني أعرف الآن كيف أصبح الصامت، وترك ورقة.
مروان: أين هي؟!
أخرجت الورقة من جيبي ثم فتحتها وإذا بها أرقام...من ترتيب الأرقام فهي إحداثيات لموقع.
رن هاتف مروان فأجاب على الفور، تغيرت ملامحه أكثر وأغلق ثم ضرب الأرض.
- ماذا حدث؟!
مروان: الصامت ألقي شخص من فوق عمارة بالمعادي وترك معه ورقة تقول" ذلك الرجل لص هو ونسله، قتلت الرجل وبقى نسله والباقي لكم".
- ومن هذا؟!
مروان: صاحب شركة كان يعمل بها، ولكن السؤال الآن ما هذا الموقع الذي في الصحراء؟!
- قبر زوجته.
مروان: كيف عرفت؟!
- سأحكي لك ونحن بطريق لهناك هيا.

•••

الساعة الآن الثالثة صباحًا بتوقيت القاهرة...

وصلنا بالعربات إلى الموقع المنشود، كان هناك سيارة أمام المنزل وكتب عليها جملة " تبًا للعالم " تحركت القوات إلى داخل المنزل في إقتحام قوي ولكن لا يوجد أحد، ووجدنا تابوتان، تأكدت القوات أن كل شيء آمن ودخلنا، فتحنا التابوتان ووجدنا بالبداية جثمان بسنت موجود في التابوت الأول وكانت الرائحة قذرة، والتابوت الثاني كان الصامت وهو منتحر برصاصة في نصف رأسه ومازالت تنزف وهذا يدل على قرب معاد إنتحاره، على صدره يوجد كيسان وبهما ورقتان، الورقة الأولى عنوان مقبرة وكتب عليها:

" نريد الدفن هنا، المفتاح في الكيس، وقد تواصلت مع التربي هناك وسيكون المدفن جاهز ومفتوح لاستقبالنا، وإذا لم أنزل به، على الأقل لتدفن به زوجتي ثم أنا، أي كان الوقت الذي تريدوه لكي ترحموا جسدي."

خرجنا للخارج المنزل وفتحنا الورقة الثانية والذي كتب على ظهرها :" تفتح بواسطة الكاتب حامد عمران."

لذا أعطاها لي مروان وفتحتها وقد كتب بها:

" كاتبنا أخذت حقي منك في دنيا حتى لا أدع مجالا أرائك في الآخرة، قسوة علي كثيرًا ولا تفعله مع أحد آخر حتى لا اظهر لك وأجعل أيامك جحيم، الشهرة والمعرفة ليست بالتنمر والقوة على ضعاف البشر، بل بمساندتهم ودعمهم وجعلهم كبار في عيون من لا يروا وفي تلك اللحظة ستكون كبير بدون

أي مجهود يذكر، أعرف أنها أيام مراهقة والوضع تغير ولكن كان يجب أخذ حقي، إحقاقًا للحق ساعدتني عدة مرات حتى لو كانت رياء حينها لذا عرفان لجميلك هذا تركت تكمل حياتك، كن عون للضعيف يا حامد ولا تكن أنت والدنيا عليه.

هذا الجزء الأول لك، الجزء الثاني من الرسالة أريدك أن ترسله للعالم عن طريق كتبك وشهرتك، أولاً ذلك العالم قذر للغاية والأغلبية العظمى من النفوس أصبحت سوداء، سواد قاتم أسود من الليل، يحمل غل وشر البشر، وللأسف لن يتغير أحد، لم يحقق أحد ذرة من الدين، ولا من الأخلاق، القيم، مبادئ لذا أصبحت لا أهتدي لتصنيف صريح لتلك المهذلة المجتمعية، يظلوا فقط يضحكون ويسخرون من كفار قريش وهم ليس بربع نبلهم، تخيل بأن كفار قريش وقفوا أمام منزل الرسول الكريم عندما أرادوا قتله وقت طويل مترددين غشية من وجود نساء بداخل؟!

لندع هذا، فتى يريد فقط الزواج والعفاف والحب الطاهر ولكن ليس معه ما يكفي من المال هل سنعدمه؟! بالطبع لا ولكن الأهالي يفعلوا هذا، بإتباعهم قيم عقيمة تضر بمصلحة الجميع فقط، يطلبوا ذهب والد العروس لا يملكه أصلًا، والنظر للفروقات بين العرسان يجعل موت الأشخاص أقرب من محياهم هل يعقل؟!

بل الأفظع من ذلك تخيل فسخ خطوبة شاب فقير لكي يزوجها من ذلك الثري الذي لا يحمل من علوم الدنيا غير جيب به مال وإذا ذهب المال ذهب صاحبه معه.

المشاعر كلها أصبحت لزقة بين الأفراد، العلاقات مشتتة، والبيوت واهنة، والطلاق يزيد...عدم الرحمة، جوع، فقر، ظلم، زنا، مخدرات، رشوة، فساد والقائمة تطول...ما هذا؟!

أنتم مدركون بأننا نسل القوم الصالحون الذي ركب مع نوح عليه السلام السفينة؟! ماذا كان سيحدث لو بقي الجزء الآخر؟!

يا أيتها العقول فقط فكروا...وعندما تفكرون ستخرجون من الغفلة، وإذا خرجتم حياتكم أصبحت جنة.

تعلمون بأني من كسرت القاعدة وقررت القصاص من ذلك العالم ومن كل ظلم تعرضت له، تخيل ماذا سيحدث إذا خرج البقية عن شعورهم، لن تحصي عدد القتلى في كل مكان مدرك ذلك؟!

أنظر لذاتك وفكر ما هي عيوبي، مميزاتي، من أنا، من الذي ظلمته، من الذي ظلمني، من أستطيع مساعدته ومن لا أستطيع؟!

ولا تقل لم أظلم أحد وأني مظلوم، هل تعتقد حقًا بأنك من ملائكة السماء ولكنك في مهمة إنتداب على الأرض حقًا؟!

وإذا لم يكن ظلمك كبير لشخص من الممكن أن يكون صغير ومجمع؛ أكل بقية مبلغ أعطاه أحد لك ولم ترجعه ظلم، أكل طعام أخيك النائم أو الغير موجود ظلم له، كذبك وافتراء على أحد آخر لتهرب من مسؤولية خطئك ظلم واضح، والقائمة الأشياء لا تعد لذا...لذا أفق قبل فوات الآوان.

أعرف أن من يحدثك هو قاتل ولكني أخترت ذلك لإطفاء نيران قلبي على روحي الذي قرر العالم حرمي منها لذا كما وجبت الطبيعة رد فعل لذا كنت نتاج عملكم وليس العكس، وأن ضحاياي هم كائنات قذرة وظالمة وأنني لم أممس برئ طاهر قط.

رحلت بإختياري وبيدي والممكن ظهور غيري إذا قررتم وضع سواد العالم عليه وبالتالي تعرفون النتيجة.

إلى اللقاء أيها العالم القذر.

الصامت/عمار."

أغلقت الرسالة ونظرت إلى السماء وأخذت نفس عميق، معه حق في كل كلمة قالها ولكن ليس في إختيار فعله حيث أن إذا رد الجميع بذات الأسلوب لكنا لم نكن منذ قديم الأزل وانتهت الرحلة البشرية منذ عقود، لا أحد ينكر وجود الشر ولكن الخير أمامه وهذه سنة الحياة ليوم الدين.

•••

عدت لحياتي الطبيعية، روتين يومي ثابت ولكنه هادئ وأفضل من لكمات شخص أو الهرب من مدينة المفترسين، ولكن هل هي نهاية بالطبع لا، فهو هناك ذلك الظل الأسود والذي عندما يظهر يكون نظير شؤم وبداية الجائحة.

تقطعت أضواء الغرفة وظهرت دمية سوداء على بعد مترين مني تنزف من عينيها!!

الكاتب حامد عمران.

يتبع هلاوس الجحيم

صُدر للكاتب أيضا

- رواية ما وراء البشر.
- مجموعة قصصية ما رواه السيد عزازيل.
- مجموعة قصصية ينتظر هلاكك.
- رواية وريث الكاهن.
- سلسلة هلاوس جمجمة العدد الأول (الغرفة).